

هذه الطبعة
إهداء من المركز
ولا يسمح بنشرها ورقياً أو
تداولها تجارياً

اللسانيات العربية

Allisaniyat Al Ārabiyyah

مجلة علمية محكمة تصدر عن مركز الملك
عبدالله بن عبدالعزيز الدولي لخدمة اللغة العربية
العدد ٩ ذو القعدة ١٤٤٠هـ - يوليو ٢٠١٩ م

- الوسم النحوي الأكي للعربية في منهجية بنك المشجرات النحوية في جامعة
بنسيلفانيا.

- التحوّل الدلالي في المعجم بين الاستعارة والمجاز:
مظاهر الانتظام العرفانيّ فعل «حرق» أنموذجاً.

- إشكالات التأويل الدلالي في بعض الأبنية التركيبية العربية
(مقاربة عرفانية).

- أنماطية تصنيف الرؤوس الفعلية الظاهرة والرؤوس الفعلية الضامرة
في الدرس اللساني العربي.

- « أن » وعلاقتها بالمراقبة في العربية: افتراض النقل أم طابق ضم الكبير؟.

- الفضاء اللغوي وآليات بناء المعنى.

- الأصلية في تعليم اللغة الثانية.

إشكالات التأويل الدلالي في بعض الأبنية التركيبية العربية (مقاربة عرفانية)

سندس كرونة¹

الملخص

يمثل هذا البحث استثمارة لبعض مقترحات الدلالة العرفانية ومنوال الاستعارة التصويرية للايكوف وجونسون، على وجه الخصوص، لتفسير تفرّع المعنى التركيبي وتولده في القول وما يطرحه من إشكاليات في التأويل الدلالي. وقد سعينا بالاعتماد على نظرية الاستعارة التصويرية إلى تفسير تفرّع دلالات حروف الجرّ وتبين ما نلاحظه من استرسال في المعنى بينها في بنيتها الدلالية الداخلية وفي علاقاتها فيما بينها. واستندنا إلى بعض الأصول الاستعارية الذهنية التي أشار إليها لايكوف وجونسون، وإلى منوال لنجاكر لتفسير الزيادة في المعنى التي تحصل عند تغيير ترتيب الكل من خلال عمليتي التقديم والتأخير اللتين درسهما القدامى باعتبارهما من وجوه النظم التي يتوخّاها المتكلم لتحقيق غرضه المخصوص من القول. وتوصلنا من خلال توظيف مفاهيم الاستعارة التصويرية والمنوال العرفاني المؤمل والبنية الخطاطية إلى تنزيل إشكالات التأويل الدلالي ضمن إطار عرفاني تجريبي لا يتعلّق باللّغة فحسب وبالأبنية اللفظية الظاهرة، وإنّما يستند إلى أسس تصوّرية تتحكّم في كيفية بنائنا للتصوّرات ومقوّلتنا للأشياء في الكون بالاعتماد على أجسادنا المتفاعلة مع محيطنا المادّي والثقافي. وقد سمحت لنا هذه المعالجة بتفسير تلك الظواهر التركيبية المدروسة لا باعتبارها ظواهر معزولة بل بوصفها تخضع لقوانين عرفانية واحدة تتحكّم في نظامنا التصوّري في اللّغة وفي غيرها من أشكال التعبير الأخرى.

١ - باحثة لسانية متحصّلة على الدكتوراه في النحو العربي أستاذة مساعدة بالمعهد العالي للغات بتونس، جامعة قرطاج تونس.

Abstract

The present paper investigates some proposals of cognitive semantics, especially Lakoff and Johnson's model of conceptual metaphor, to explain the derivation of syntactic meaning and its generation in speech and the issues it raises in semantic interpretation. Within the framework of conceptual metaphor theory, an attempt is made to explain the derivation of the meanings of prepositions and show the coherence in their internal semantic structure and within their respective relationships. For this end, some cognitive concepts referred to by Lakoff and Johnson are called upon as well as Langacker's model which explains the semantic addition that occurs when word order changes through foregrounding processes referred to traditionally as the speaker's communicative strategies. By adopting the principles of conceptual metaphor and idealized cognitive models, issues of semantic interpretation are brought into an experiential cognitive framework that is not only related to language and apparent verbal structures, but also to the conceptual underpinnings that control how perceptions and linguistic acts interacting with the speakers' physical and cultural environment are built. This analysis will make it possible to explain such issues not as isolated phenomena, but as subject to the same cognitive rules that govern the conceptual system of language and other forms of expression.

المقدمة

يعدّ التأويل عملية ذهنيّة عصبية مجسّدة تستند في الآن ذاته إلى الخلفيّة الأنطولوجيّة والثقافيّة للإنسان المؤوّل، فهي تمثّل إذن حركة متعاكسة من الذاتي الخاصّ إلى الكوني المشترك والعكس. وهي لذلك أيضاً تعدّ ذات صلة وثيقة بكيفيّة بنائنا لمتصوّراتنا الذهنيّة المستندة إلى طريقة مَقوّلَتنا لمحيطنا الطبيعي والثقافي. وفي هذا الإطار يتنزّل اهتمام النظرية العرفانية بهذه العمليّة باعتبار هذه النّظرية تعنى بعملية بناء المتصوّرات conceptualization وعملياتيّة المَقوّلَة categorization.

ولما كانت اللغة أبرز أداة للتعبير عن المتصوّرات الذهنيّة لدى البشر، إن لم تكن الأداة الوحيدة حسب بعض النظريات، فقد اهتمّت النظرية العرفانيّة في الدلالة بالتأويل اللساني، فدرس الدالّيون العرفانيّون المعنى اللساني وكيفيات انتظامه في الذهن معتمدين بعض المفاهيم النفسية العصبية التي طبّقوها في تأويل المعنى اللغوي من قبيل مفهوم الفضاءات الذهنية فوكونبي Fauconnier^١ والمناويل العرفانية المؤمثلة للايكوف Lakoff^٢.

لكنّ تطبيقات هذه المفاهيم العرفانيّة في دراسة اللغة العربيّة ظلّت منحصرة أو تكاد في دراسة التأويل المعجمي نظراً لجدّة هذه المقاربات في البحوث الدلالية العربيّة من جهة ولبساطة التأويل المعجمي من جهة أخرى مقارنة بالتأويل الدلالي التركيبي الذي تراكب فيه مستويات عديدة من المعنى (الاشتقائي، التصريفي، المعجمي، التركيبي، السياقي).

وهذا ما دفعنا في هذا البحث إلى توظيف نماذج من هذه المفاهيم التي أرسّتها الدلالة العرفانيّة في تأويلنا لبعض الأبنية التركيبية في اللغة العربيّة، وسنعمد في ذلك منوال جورج لايكوف ومارك جونسون (١٩٨٠، ١٩٩٩) أنموذجاً. وسنسعى في هذا العمل إلى الوقوف عند بعض إشكالات التأويل الدلالي التركيبي لنماذج من الأبنية والظواهر التركيبية العربيّة وما يمكن أن تقدّمه المعالجة الدلالية العرفانية من أجوبة لها.

وسيكون عملنا في قسمين: قسم تمهيدي نظريّ، نقدّم فيه أهمّ الفرضيات

والمفاهيم التي استند إليها جورج لايكوف ومارك جونسون في منوالها الدلالي العرفاني، وقسم إجرائي، نختبر فيه مفهوما مركزيا في منوالها وهو مفهوم الاستعارة التصوريّة conceptual metaphor في تأويل نماذج من الإشكالات الدلاليّة التركيبية في العربيّة مثل دلالة بعض حروف الجرّ ودلالة التقديم والتأخير.

١- التأويل في علم الدلالة العرفانيّة: منوال لايكوف وجونسون أنموذجا

١.١. الأسس النظرية الفلسفية لهذا المنوال

قدّم لايكوف وجونسون في كتابها "Philosophy in the Flesh" ^٣ أهمّ الأسس النظرية والفلسفية التي قام عليها تصوّرها للفكر واللغة. وقد أوجزاها في النقاط الأربع التالية التي اعتبرها أهمّ ما توصلت إليه العلوم العرفانية:

- تصوّرنّا للعالم تصوّر استعاريّ؛
- هذا التصرّور الاستعاري تصوّر مجسّد embodied لأنّه نتيجة تفاعل جهازنا الإدراكي الحركي مع محيطنا الخارجي؛
- تصوّرنّا للعالم في أغلبه غير واع.

الاستعارة ظاهرة تتعلّق بالفكر وكيفيّة اشتغاله في الكون قبل أن تكون ظاهرة لغويّة ^٤.

من الواضح حينئذ تعارض هذا التصرّور العرفاني الدلالي فلسفيّاً مع التصرّورات الموضوعيّة التي تعتقد في وجود حقيقة خارجية موضوعية صرفة يمكن فصلها عن الذات المدركة، إذ الحقيقة وفق هذا التصرّور لا تعدو أن تكون مجموعة حيّة من الاستعارات والتشبيّهات والمجازات، وهو ما يتعارض أيضا مع التصرّور البلاغي التقليدي الذي يعدّ التعبير الحقيقي أصلا والاستعارة والمجاز فرعا عنه، إذ يعرف البلاغيون القدامى الاستعارة والمجاز بأنّها نقل المتكلّم للفظ من معناه الوضعي الأصلي إلى معنى ثان لغرض ما مثل المبالغة أو توضيح الصورة. فالمعنى الاستعاري عندهم هو معنى حادث ينشئه المتكلّم المستعير في سياق معيّن ويزول بمجرد انقضاء ذلك السياق. ويمثّل المعنى الحقيقي المعنى الوضعي الذي تنشئه اللغة أو المتكلّم الواضع؛ أمّا المعنى المجازي أو الاستعاري فهو معنى بلاغيّ تداولي ينشئه المتكلّم

الفعلي من خلال «ادعاء معنى» للفظ هو غير «ظاهر معناه» كما وضح ذلك الجرجاني في كتابه دلائل الإعجاز^٥.

لكن الاستعارة كما عرفها لايكوف وجونسون تصبح أحياناً هي الأصل، إذ لا توجد طريقة أخرى سابقة لها في تسمية الأشياء لغوياً، وبذلك فهي لم تعد اختياراً واعياً للمتكلّم البليغ يسعى من خلالها إلى تزويق قوله وإكسابه مزية؛ وإنما هي ركن أساسي في كيفية مقولتنا للعالم وتمثّلنا له تصوّرياً وتفاعلاً معه في تجربتنا الماديّة والثقافيّة، وهي في مجملها عمليات ذهنيّة لا واعية. إذ ليست الاستعارة الموجودة في نظامنا اللغوي إلا نتيجة استعارات توجد في النظام تصوّري لكلّ منّا^٦.

ويعارض هذا تصوّر اللغة والفكر الذي قدّمه لايكوف وجونسون الاتجاه الموضوعي الميتافيزيقي الذي يفصل بين الذات المتصورة والعالم المتصور، إذ يبيّن أنّ تصوّراتنا المعرّقة في التجريد ترجع استعارياً إلى تصوّراتنا الأكثر بساطة وتجنّداً وهي المتصورات الإدراكيّة الحركيّة التي لا تتحقّق إلا من خلال التفاعل المستمرّ بين جهازنا الإدراكي الحركي وجهازنا العصبي من جهة ومحيطنا الخارجي من جهة ثانية^٧.

٢،١ أهمّ المفاهيم التي قدّمها جورج لايكوف ومارك جونسون في معالجتهم العملية التأويل الدلالي

كان المبدأ العامّ الذي استند إليه الدالّيون العرفانيّون على اختلاف مناويلهم النظرية هو اعتبار أنّ البنية الدلاليّة اللغويّة هي جزء من البنية تصوّريّة التي تعدّ من أهمّ المنظومات المركزيّة في العرفان البشري^٨. فكان لذلك تناول الدالّيين العرفانيين لكيفية بناء المعنى اللغوي وتأويله مرتبطاً بمعالجتهم لكيفية إنشاء المتصورات في الذهن وكيفية بنيتها. ومن أبرز آليات هذه العملية لدى لايكوف وجونسون الاستعارة تصوّريّة.

١،٢،١ الاستعارة التصورية:

يميّز لايكوف بين ثلاثة أنواع من الاستعارات المتحكّمة في بناء تصوّراتنا أو ما يسمّى بالاستعارات التصورية:

أ. الاستعارة البنيوية، وهي عملية ذهنية يبين فيها متصوّر ما استعارياً بواسطة متصوّر آخر. ويمثّل هذا النوع الأوّل من الاستعارات أهمّ الاستعارات تصوّرية باعتبارها متحكّمة في الكثير من المتصوّرات المتداولة في تخاطبنا اليومي. ومنها:

- الوقت مال: ضاع الوقت، لم يستثمر وقته كما يجب، لا بدّ من ربح الوقت، امنحني قليلاً من الوقت

- النظرية بناء: بنى تصوّره على أسس هشّة، هدم بسؤاله هذا كلّ النظريات السابقة

- النقاش حرب: دافع عن موقفه بأخر سلاح لديه وهو البكاء، كان يدّخر حججه للجولة الأخيرة

- الحياة رحلة: شهدت حياته محطات مختلفة، في آخر المطاف استسلم للموت

ب. الاستعارة الاتجاهية، وتقوم على عمليّات ذهنيّة تنظّم العلاقة بين المتصوّرات داخل نظامنا تصوّري وفق اتجاه فضائي معيّن. ومن أمثلة هذه الاستعارة التي يذكرها لايكوف وجونسون:

- السعادة فوق: طار من السعادة؛ ارتفعت معنويّاته

- والحزن تحت: انهار عند سماعه خبر وفاة ابنه؛ ينبغي انتشاله من حزنه

- الهيمنة فوق: وضع يده على كلّ ما نملكه، أشرف على أعمال بناء المصنّع، الشعب يريد إسقاط النظام.

ج. الاستعارة الأنطولوجية، وتسمّى هذه الاستعارة أنطولوجية لأنّها تتعلّق بالعلاقة بين ضريين من الوجود نعني الوجود الحسيّ والوجود المجرّد. فهي استعارة تقوم على أساس «فهم تجاربنا عن طريق الأشياء والمواد (...)» وحين نتمكّن من تعيين تجاربنا باعتبارها كيانات أو موادّ فإنّه يصبح بوسعنا الإحالة عليها ومقولتها وتجميعها وتكميمها، وبهذا نعتبرها أشياء تنتمي إلى منطقتنا. ومن الأمثلة التي ذكرها لايكوف وجونسون للاستعارات الأنطولوجية:

- الدّهن آلة تشتغل وتعطلّ: شغل مخك، تعطلّ دماغك عن التفكير

- الأنشطة موادّ والأحوال أوعية : ملأ كلّ ساعات يومه بالعمل، كان حبيس مشاعر الحزن واليأس.

وقد بينت وسيمة نجاح^{١٠} أنّ هذين النوعين الأخيرين من الاستعارة، أي الاستعارات الأنطولوجية والاستعارات الاتجاهية، يمكن إرجاعهما إلى النوع الأوّل، أي الاستعارة البنيوية، باعتبار أنّهما يقومان على بُنيّة متصوّر ما اعتماداً على متصوّر آخر يكون أساسياً من الناحية العصبية والنفسية أكثر من الأوّل. وهو ما أشار إليه لايكوف وجونسون في وصفها الأنواع الثلاثة من الاستعارات التصورية بأنّها «متداخلة» (overlapping) وتضيف الباحثة أنّ «المفهوم الأساسي المتعلّق بالاستعارة عند لايكوف وجونسون هو البنيّة، وهو مفهوم أساسي أيضاً في مقاربة فوكونبي لكنّه لا يذكره بلفظه، وإنّما يعبر عنه بمفهوم التناسب correspondance بين الفضاءات الذهنية (١٩٨٤)، وطوره فيما بعد إلى مفهوم مأخوذ من مجال الفيزياء وهو الإسقاط»^{١١}.

لذلك قد يبدو الفرق بين مفهوم الاستعارة التصورية التي تضمّ الأنواع الثلاثة من الاستعارات والنوع الأوّل وهو الاستعارة البنيوية غير واضح بما يكفي باعتبار أنّ النوعين الآخرين يقومان أيضاً على آلية البنيّة أي بناء متصوّر أبعتماد بنية متصوّر ب. ولكنّ الاستعارة التصورية تشمل كلّ استعارة متحكّمة في بناء التصوّرات سواء تعلّق الأمر باستعارة بنية متصوّر لمتصوّر آخر أو كانت الاستعارة متعلّقة بالعلاقات الفضائية (الاستعارة الاتجاهية) أو بإسقاط بنية المحسوس على المجرّد (الاستعارة الأنطولوجية).

يمكن أن نوجز أبرز ما يمكن استخلاصه من هذا التعريف لمفهوم الاستعارة وأنواعها في منوال لايكوف وجونسون في النقاط التالية:

أنّ العلاقة الاستعارية تصبح لا بين لفظ ولفظ أو معنى ومعنى (في مستوى اللغة) ولا بين متصوّر ذهني و متصوّر ذهنيّ آخر (في مستوى الفكر) بل هي بين بنية متصوّر أ وبنية متصوّر ب، بمعنى أنّ الاستعارة تحصل في عملية بناء المتصوّرات في حدّ ذاتها بل وقبلها في عملية بناء المقولات التي تعبر عنها المتصوّرات نفسها؛

أنّ الاستعارات التصورية بأنواعها الثلاثة تقوم على إسقاط التجربة الفيزيائية

الحسيّة للإنسان على تجربته النفسية والفكرية وهذا المعنى يكون الفكر مجسّداً (embodied) كما استدلّ على ذلك لايكوف وجونسون^{١٢} (لايكوف وجونسون، ١٩٩٩). وهو ما يبرز بوضوح في النوعين الأخيرين من الاستعارة التصوريّة أي الاستعارات الاتجاهيّة والاستعارات الأنطولوجيّة؛

أنّ العلاقة الاستعاريّة ترشح بشكل منتظم في كلّ المتصوّرات المتعلّقة بالمتصوّر ب باعتباره يبنى اعتماداً على تصوّرنا لـ أ . فاستعارة «النقاش حرب» ترشح بشكل منتظم في أقوال من قبيل (١):

- دافع عن موقفه بشراسة
 - لم يسلم لخصمه بسهولة وتمسك برأيه إلى آخر رمق
 - أمطره بحجج دامغة لم يقدر معها على المقاومة
 - تحصّن بالصمت كي لا يخسر المعركة
 - له في النقاش صولات وجولات
- نتبيّن من خلال هذه الأمثلة أنّ متصوّر النقاش يتخذ البنية التصوريّة لمتصوّر الحرب. وهو لا ينفك عنها في كلّ المتصوّرات المتعلّقة بالنقاش.

٢-٢-١- المنوال العرفاني المؤمّثل (ICM) Idealized Cognitive Model

وضّح لايكوف هذا المفهوم في كتابه «النساء والنار والأشياء الخطرة»^{١٣}. ويتعلّق هذا المفهوم بالتمثيلات الذهنيّة وكيفيّة بناء المتصوّرات التي تعتبر الاستعارة التصوريّة إحدى آلياتها الأساسية. ويرى لايكوف أنّ المتصوّرات أبنية قشالتيّة تتأسّس على تجربتنا الجسديّة والاجتماعيّة وتنظّمها مناويل عرفانيّة مؤمّثلة تمثّل المرجع في عمليّة المقولة وتكوين النماذج الأوّليّة prototypes التي تنظّم المقولات والمتصوّرات المعبرّة عنها. وتنقسم هذه المناويل العرفانية كما بيّن عبد الجبّار بن غربيّة إلى:

- مناويل قضيويّة يعبر عنها فيلمور Fillmore بمفهوم الأطر frames
- مناويل قائمة على أبنية خطاطيّة مثل مفهوم الخطاطة الصوريّة image

Langacker لدى لنجاكر schema

- مناويل قائمة على التوسّعات والجوازات مثل مفهوم الاستعارة البنيويّة لدى لايكوف وجونسون ومفهوم الفضاء الذهني Mental space لدى فوكونبي^{١٤} Fauconnier

وقد صاغ لايكوف هذا المفهوم في معالجته لمسألة المُقَوِّلة categorization فيما سمّي بنظرية النماذج الأوّلية الموسّعة^{١٥} théorie des prototypes étendus التي راجع فيها النظرية المعيارية كما وضعتها روش وآخرون^{١٦} وقدّم تطبيقات لها في مستوى الدلالة المعجمية للكلمة (في كتابه المذكور آنفاً)^{١٧} وقد شرح مفهوم المنوال العرفاني المؤمّثل باعتباره بنية ذهنيّة مؤطّرة للمقولات ولعناصر المقولة الواحدة. ومن أمثلة المناويل العرفانية البسيطة التي مثل بها لايكوف لهذا المفهوم المنوال العرفاني الذي يمكّننا من تصوّر لفظة «الثلاثاء» التي لا يمكن أن تحدّد إلّا في الإطار - حسب مصطلح فيلمور- أو المنوال العرفاني المؤمّثل الذي يتضمّن «الدورة الطبيعية التي تحددها حركة الشمس، ومعايير تحديد نهاية يوم وبداية يوم آخر والدورة الأسبوعية المتكوّنة من سبعة أيّام-أي الأسبوع. في المنوال العرفاني المؤمّثل يمثل الأسبوع وحدة من سبعة أجزاء منتظمة في قطعة زمنية خطيّة، كلّ جزء منها يسمّى يوماً، والجزء الثالث هو الثلاثاء»^{١٨}.

يعدّ هذا المثال الذي ساقه لايكوف مثالا توضيحياً مبسّطاً نكتفي به في هذا السياق الذي نروم فيه تقديم موجز للمفهوم، ولكن تجدر الملاحظة أنّ المناويل العرفانية المؤمّثلة قد تكون أكثر تعقيداً، وقد يركّب بعضها مع بعض، مثلما هو الحال في المثال الذي قدّمه للمنوال العنقودي cluster model في بناء متصوّر الفعل «كذب»^{١٩}.

تمثّل هذه المفاهيم والتصوّرات الدلاليّة العرفانيّة في رأينا جهازاً نظرياً يمكن توظيفه لا في فهم ما يطرأ في معاني الكلمة من إشكالات من قبيل الاشتراك اللفظي والتعدّد الدلالي والترادف وغيرها من الظواهر المعجميّة الدلالية الملبسة أحياناً وحسب، بل يمكن اعتماد هذا الجهاز لتحليل بعض الإشكالات الطارئة على التأويل الدلالي التركيبي، وهو ما سنسعى إلى القيام به في القسم الثاني من هذا البحث.

٢- التأويل الدلالي التركيبي لبعض الظواهر التركيبية العربيّة من

وجهة نظر عرفانيّة

تطرح بعض التراكمات في اللغة العربية إشكالات في التأويل الدلالي من جهة اختلاف دلالة بعض الألفاظ النحوية مثل حروف الجرّ من سياق إلى آخر، ومن جهة اختلاف الدلالة النحويّة لاختلاف الترتيب أو ما يعرف في كتب النحو القديمة بـ«مسائل التقديم والتأخير». ونعالج في هذا القسم بعض هذه الإشكالات في التأويل الدلالي التركيبي. وقد اعتمدنا في هذه المعالجة المفهومين الدلاليين العرفانيين المقدّمين أعلاه وهما: مفهوم المنوال العرفاني المؤمّثل (ICM) ومفهوم البنية الاستعارية (metaphorical structure) أو الاستعارة التصوريّة (conceptual metaphor). وسعينا أيضاً إلى الاستدلال على أنّ هذه المفاهيم ليست مبنية للغة الموصوفة فحسب بل هي أيضاً تتحكّم في اللغة الواصفة وتفسّرها في الكثير من الأحيان.

١,٢. التأويل الدلالي التركيبي لمعاني حروف الجرّ اعتماداً على مفهوم

المنوال العرفاني المؤمّثل

١,١,٢. بنية مفهوم المنوال العرفاني المؤمّثل للمنتصّورات الفضائيّة

في حروف الجرّ

سنقتصر في تحليلنا على أنموذجين من حروف الجرّ هما حرف الجرّ «في» في علاقته بالمنوال العرفاني المؤمّثل للوعاء و«من» و«إلى» في علاقتها بالمنوال العرفاني المؤمّثل المصدر- المسار- الهدف

١,٢,١,١. دلالة حرف الجرّ «في» والمنوال العرفاني المؤمّثل (ICM) للوعاء:

من المعروف أنّ لحرف الجرّ «في» دلالات علائقية مختلفة حسب دلالة الاسم المتعلّق به. فيكون

(٢) الرجل في البيت ← دالّاً على الظرفيّة المكانيّة

(٣) أنجز عمله في ساعة ← دالّاً على الظرفيّة الزمانيّة

(٤) أوقعه في حرج ← دالاً على الظرفية المجازية

(٥) كان يمشي في كبرياء ← دالاً على الحالية

(٦) دخلت امرأة النار في هرة حبستها فلم تطعمها ولم تدعها تأكل من خشاش

الأرض ← دالاً على السببية

يستند، في رأينا، الانتقال من معنى الظرفية المكانية في (٥) إلى معنى الظرفية الزمانية في (٦) إلى الاستعارة التصورية التي تحدث عنها لايكوف وجونسون بإطناب وهي: «الزمان مكاني»، وقد اعتبرنا أنها حاضرة في بِنْيَتِنَا لمتصور الزمان باعتماد بنية متصور المكان في أقوال من قبيل (٧):

- دخلنا الألفية الثالثة دون أن نحرز تقدماً يذكر

- رَوَّحوا على النفس ساعة بعد ساعة

- لا تتجاوزي الساعة الثانية عشرة

- عدنا إلى البيت في حدود الساعة الثامنة

من البين أننا لا نجد في مثل هذه الأقوال استعارات بالمعنى التقليدي للكلمة الذي نجده في كتب البلاغة، بل تكون الاستعارة المكانية ههنا الطريقة الوحيدة لبنينة تصوراتنا الزمنية.

ولعل هذا ما يفسر استعمال النحاة في وصفهم لمتّم الإسناد المتصل بالزمان نفس المصطلح الذي يستعملونه للمكان وهو المفعول فيه، واستعمالهم في الصرف نفس الوزن لاسم الزمان والمكان. وهذا دليل على أن هذه الاستعارة البنيوية متحكّمة أيضاً في اللغة الواصفة للسان. وتكمن أهمية هذه الملاحظة في تأكيدها أن اللغة الواصفة هي من جنس اللغة الموصوفة نفسه وهي تشتغل بنفس آلياتها في تحديد وسم اللفظ للمعنى. ولعل من أهم هذه الآليات الاستعارة التصورية.

أمّا من حيث العلاقة بين دلالة "في" في (٥) على الظرفية المكانية ودلالاتها في (٧) و (٨)، على الترتيب، على الظرفية المجازية والحالة، فيمكن تفسيرها بالاعتماد على ضربين من الاستعارات التصورية:

الاستعارة الأنطولوجية: الحالة والشعور ذات محسوسة يمكن الإحالة إليها ومقولتها وتجميعها وتسويرها؛ إذ يشير لايكوف وجونسون إلى أننا «إذا أمكننا تمثّل تجربتنا باعتبارها جملة من الذوات والموادّ فإننا نستطيع الإحالة إليها ومقولتها وتجميعها وتسويرها - واعتماداً على ذلك - تعقلها»^{٢٠}.

ومن الأمثلة الدالة على تحكّم هذه الاستعارة في بنيتنا لمتصوّر الحالة أقوال من قبيل (٨):

- استحوذ ابنك على كلّ اهتمامك ولم يُبق لي شيئاً

- رأيت في عينيه أطنانا من الحزن والأسى

- استثمر فقرهم وجوعهم في برنامج الانتخابي ثمّ نسيهم؛

فاستعمل عبارات «كلّ» و«أطنانا» و«استثمر» في الأمثلة (٨) مسندة على الترتيب إلى مشاعر «الاهتمام» و«الحزن والأسى» وحالة «الفقر والجوع» يدلّ على أنّ متصوّر الحالة والشعور يمكن تسويره وتجميعه مثله مثل المواد والذوات المحسوسة.

وبالعودة إلى المثال

(٩): أوقعه في حرج

فإنّ حالة الحرج تبدو وكأنّها اسم إحالي مادي مثل الفحّ أو الحفرة التي يمكن تسويرها في قولك مثلاً:

(١٠) أوقعه في حرج كبير

الاستعارة البنيوية

أمّا الضرب الثاني من الاستعارات التصورية التي تخضع لها دلالة «في» على الحالة، فهي استعارة (الحالة وعاء أو فضاء مكاني)، وهي متحكّمة في بنية متصوّر الحالة في أقوال عديدة في استعمالنا اليومي، وتدلّ على ذلك عبارات من قبيل (١١):

أ- ما الذي أوصلك إلى هذه الحال

ب- لم يخرج من حالة الغضب التي تملكته إلاّ عندما أعيدت له أمواله

ج- كان متردداً بين الأمل واليأس

د- في مشاعره شيء من الزيف

ه- بلغ الفتى أقصى حدود اليأس

فتبدو الحالة من خلال هذه الأمثلة فضاء مكانياً يمكن الوصول إليه (أ١١) أو عدم الخروج منه (ب١١) أو التردد بينه وبين فضاء حالة آخر (ج١١) أو يمكن أن يحتوي أشياء أو حالات أخرى من جنسه (د١١) أو أن تكون له حدود مضبوطة (ه١١).

يمكن أن يفسر هذا التصور الاستعاري في مستوى اللغة الواصفة في النحو العربي علاقة التقارب في بعض الأقوال بين متمم الحال والمفعول فيه وجعل النحاة يفردون فقرات في باب الحال للتمييز بين هذه الوظيفة ووظيفة المفعول فيه ويضعون بعض الروايز للفصل بينهما.

أمّا فيما يتعلّق بالمعنى الأخير الذي ذكرناه لـ"في" في الأمثلة المقدّمة أعلاه (المثال هـ):

هـ- دخلت امرأة النار في هرة حبستها فلم تطعمها ولم تدعها تأكل من خشاش الأرض

فيمكن أن نفسر العلاقة بين دلالة الظرفية المكانية لـ"في" في (أ) ودلالاتها على السبب في (هـ) بالاعتماد على الاستعارة البنيوية: (السبب والغاية وعاء). نلاحظ أنّ العلاقة السببية كثيراً ما تتصور باعتبارها وعاء، إذ يُبيّن متصور الفضاء تصوّرنا لمفهوم السبب في عبارات من قبيل (١٢):

لم أجد في أسبابه ما يقنع

ب- كان ينتقل من حجّة إلى أخرى عساه يقنع بصدق نواياه

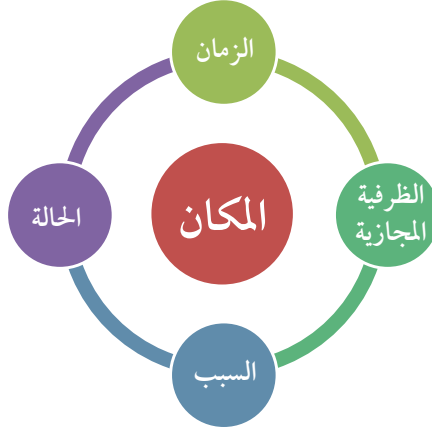
ج- في إطار هذه الأسباب، يتنزّل رفضنا دعوتكم إلى العشاء

د- ضاقت به الأسباب، فاستسلم.

فتكون الأسباب وعاء يمكن أن نبحت داخله عمّا يقنع في (١٢) أو نتقل منه

إلى وعاء آخر من جنسه في (١٢ب) أو إطارا يتنزّل فيه رفضنا للدعوة في (١٢ج) أو فضاء يضيق بنا في (١٢د). وفي كلّ هذه الأمثلة وما شابهها لا يمكن تصوّر السبب إلاّ من خلال بنية متصوّر المكان الوعاء.

نتبيّن إذن من خلال هذا التحليل الموجز الترابط الاستعاري بين أهمّ معاني حرف الجرّ «في» وهي الظرفية المكانية والظرفية الزمانية والظرفية المجازية والحالة. والسبب في رأينا أنّ هذه الدلالات المختلفة ينظّمها المنوال العرفاني المؤمّثل للوعاء الذي يوجّه التأويل التركيبي للجمل والمركّبات المتضمّنة لهذا الحرف. ويمكن تمثيل هذا المنوال باعتماد الخطاطة الصوريّة (image schema) التالية:



ويمكن أن نجد نفس هذه العلاقات تقريبا فيما يتعلّق بالدلالات المختلفة لحرفي الجرّ بـ وعلّى.

٢،١،١،٢. دلالة حرفي الجرّ «من» و«إلى» والمنوال العرفاني المؤمّثل
"المنطلق-المسار-الهدف"

١،٢،١،١،٢. الاستعارات التصوريّة المتحكّمة في دلالة «من»

لحرف الجرّ «من» جملة من الدلالات المختلفة حسب السياق التركيبي الذي ترد فيه وأهمّها

(١٣) جاء من تونس ← ابتداء الغاية المكانية

(١٤) خرجوا إلينا من القرون الوسطى ← ابتداء الغاية الزمانيّة

(١٥) استعار منه كتباً ← مصدر الشيء

(١٦) ارتعشت فرائضه من الحمى ← السبب

يمكن تفسير العلاقات بين هذه الدلالات باعتماد جملة من الاستعارات البنيوية، إذ يستند الانتقال من (١٣) إلى (١٤) إلى الاستعارة البنيويّة (الزمان فضاء مكاني) التي أشرنا إليها آنفاً في تحليلنا لمعاني «في» وهي التي يمكن أن تفسّر كما قلنا استعمال مصطلح المفعول فيه في النحو العربي للدلالة على كلّ من المتمم المكاني والمتمم الزماني للفعل؛ في حين يمكن تفسير العلاقة بين (١٣) و(١٥) بالاستعارة البنيويّة: (مصدر الشيء هو المنطلق) التي نجدها في مثل قولك:

(١٧) تعلّم منه الخبث وتجاوزه

وتفسّر العلاقة بين (١٥) و(١٦) بالاستعارة البنيوية

«السبب هو المصدر» التي ترشح في أقوال من قبيل

(١٨) تجاوز ضعفك لتصل إلى ما تتمناه

نستنتج إذن من خلال الاستعارات البنيوية المذكورة المبينة للتعدد الدلالي لحرف الجرّ «من» أنّ كلّ هذه الدلالات السياقية تستند إلى مفهوم «المنطلق» في المنوال العرفاني المؤمّل المنطلق-المسار-الهدف. ويمكن لنفس هذا المنوال تفسير الدلالات المختلفة لحرف جرّ ثان يرتبط تقابلياً بحرف الجرّ «من» وهو «إلى».

٢-٢-١-١-٢ الاستعارات التصوّرية المتحكّمة في دلالة «إلى»

نجد جملة من المعاني السياقيّة لـ «إلى»:

(١٩) وصلوا إلى الحيّ ← الغاية المكانية

(٢٠) سهرت إلى مطلع الفجر ← الغاية الزمانيّة

(٢١) أسند إليه لقب عميد الأدباء ← الإلصاق (وهو من معاني لـ)

(٢٢) هدتنا نصيحتك إلى سبيل الصّواب ← الاتجاه المجازي

مثلاً رأينا في حرفي الجرّ «في» و «من» يستند الانتقال من الدلالة (١٩) إلى الدلالة (٢٠) لحرف الجرّ «إلى» إلى الاستعارة البنيوية: (الزّمان فضاء مكاني)؛ ويمكن تفسير العلاقة بين دلالة «إلى» في (١٩) ودلالاتها في (٢١) بالاستعارة البنيوية: (الشخص فضاء مكاني)؛ وهي ما يفسّر أيضاً أنّ وظيفة المفعول فيه في الجملة تشمل الدلالة الظرفية المجازية في مثل قولك:

(٢٣) حمل في صدره هموماً كثيرة

(٢٤) ارتسمت على وجهه علامات الفرح

وترشح هذه البنية الاستعارية في أقوال من قبيل (٢٥):

- انفجر من الغضب

- أخرج كلّ ما يعتمل داخله من حقد وكرهية

أمّا الانتقال من دلالة «إلى» في (١٩) إلى دلالاتها في (٢٢) فيمكن تفسيره اعتماداً على ضربين من الاستعارة التصورية:

استعارة أنطولوجية مفادها أنّ المجرّد يَمَقُولُ ويَجْمَعُ ويَكْتُمُّ باعتباره مادّة محسوسة

إذ يتصوّر «الصواب» في

(٢٦) هدتنا نصيحتك إلى الصواب

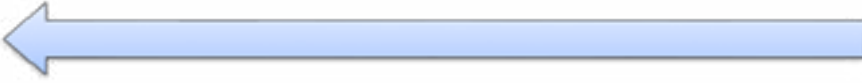
مادّة محسوسة يمكن الوصول إليها وإدراكها حسياً

- استعارة بنيوية أشرنا إليها سابقاً في دلالة حرف الجرّ «في» على الحالة وهي: (الحالة فضاء مكاني)؛ فالصواب في هذا المثال هو الهدف الذي أدّى إليه المسار فهو نقطة انتهاء الغاية المكانية بمعنى ما.

ويعدّ الجامع بين كلّ دلالات «إلى» في هذه الأمثلة هو متصوّر هدف المسار في المنوال العرفاني المؤمّثل: المنطلق - المسار - الهدف.

فيكون هذا المنوال العرفاني المؤمّثل منظماً لتصوراتنا الفضائية التي يعبر عنها

حرفا الجرّ (من) و«إلى» ويمكن تمثيله في الخطاطة الصورية التالية:



المنطلق	المسار	الهدف
دلالات 'من' (الابتداء في المكان، في الزمن، المصدر، السبب)		دلالات 'إلى' (الانتهاء في المكان، في الزمان، الإلصاق، الاتجاه المجازي)

٢-١-٣ استنتاجات

تبدو دلالات حروف الجرّ متفاوتة في مدى قربها من المنوال العرفاني المؤمثل الذي يفترض الدلاليون العرفانيون أنه ينظّم تصوّراتنا المتحقّقة لغويًا في استعمال هذه الحروف. ففي دلالات حرف الجرّ «في» يمثل معنى الظرفية المكانية الأنموذج الأوّلي أو الطراز prototype في هذه المقولة النحوية. أمّا بقية الدلالات فهي ترتبط به بأشكال متفاوتة باعتماد آلية الاستعارة البنيوية. ويكون المنوال العرفاني المؤمثل الوعاء، وفق هذا التصوّر، الإطار التصوّري المجرد الذي ينظّم العلاقات بين عناصر المقولة النحويّة الواحدة التي يعبر عنها حرف الجرّ في. وكذلك الأمر بالنسبة إلى دلالات كلّ من حرفي الجرّ «من» و«إلى».

هذا في مستوى البنية الداخلية للمقولة النحويّة، أمّا فيما يتعلّق بالعلاقات بين المقولات النحويّة المعبر عنها بحروف الجرّ فيما بينها، فنلاحظ ضرباً من الاسترسال بينها. ففي أقصى حدود منوال الوعاء الذي يضمّ دلالات «في» المختلفة، نجد معنى السببية وهو من معاني «من» التي تدلّ على السبب باعتباره منطلقاً في منوال عرفاني آخر هو منوال المنطلق-المسار-الهدف. وفي أقصى حدود هذا المنوال المتحقّقة في «إلى» يبدأ معنى «ل» الدالة على السبب أو الغاية. لذلك نلاحظ في بعض الأقوال استبدالاً في الاستعمالات اليوميّة لـ «إلى» بـ «ل» في مثل قولك

بالنسبة إلى (ل)؛ بالاستناد إلى (ل) ^{٢١}

أو العكس أي استبدال لـ «ل» بـ «إلى»

(٢٧) قدّم له (إليه) هديّة

٢-١-٢- تأويل بعض الظواهر التركيبية الدلالية باعتماد مفهوم

الاستعارة التصويرية

المقصود بالظواهر التركيبية الدلالية هي ما سمّاه الجرجاني في دلائل الإعجاز «الفروق»^{٢٢} في المعنى الناتجة عن اختلاف في «وجوه النظم». فهي اختلافات دقيقة في «توحي معاني النحو في معاني الكلم»^{٢٣} تنشأ عنها فروق دلالية دقيقة يوافق كلّ منها غرضاً مخصوصاً للمتكلّم في سياق قوله المخصوص. وقد اعتمدنا في تحديد هذه الفروق وتأويل هذه الوجوه مفهومًا دلاليًا عرفنا هو مفهوم الاستعارة التصويرية. فعالجنا ظاهرتين من ظواهر التقديم والتأخير هما: تقديم الاسم على الفعل وتقديم المفعول الأوّل على المفعول الثاني بالنسبة إلى الأفعال المتعدية إلى مفعولين.

ليس المقصود بالتقديم والتأخير في هذا السياق تغيير القائل لترتيب اللفظ لغاية بلاغية فحسب بل نقصد كلّ ترتيب يختاره المتكلّم للتعبير عن أغراضه سواء كان على حدّ عبارة الجرجاني تقديمًا على نيّة التأخير أو تقديمًا لا على نيّة التأخير. ويمكن اختزال الدلالة النحوية في تأويل التقديم والتأخير التي أشار إليها النحاة، ثمّ طورها البلاغيون وفصلوا فيها القول في ما عبّر عنه سيبويه بـ «العناية والاهتمام» بالعنصر المقدم. ولكن السؤال هو: ما سبب حصول هذا المعنى بسبب التقديم نحو موضع صدارة الجملة؟

يفسّر لايكوف وجونسون الزيادة في المعنى الحاصلة في المعنى المقدم بالاستعارة البنيوية: (الأقرب يكون أكثر قوّة وتأثيراً)^{٢٤}؛ والمقصود بالأقرب في إطار التأويل الدلالي التركيبي هو الأقرب إلى العنصر العامل في البنية. ولنمثّل على ذلك بوجهين من وجوه التقديم: تقديم الاسم على الفعل وتقديم المفعول الثاني على المفعول الأوّل.

٢-١-٢-١ تقديم الاسم على الفعل

من المعلوم أنّ الترتيب الأساسي في اللسان العربي هو [ف فامف] (VSO)،

ولئن كانت الجملة الاسمية التي يتقدّم فيها الاسم على الفعل متواترة في العربية فإنّها ترجع إلى حركة تقديم يتغيّر فيها الحكم الإعرابي للعنصر المقدّم فيصبح مبتدأ وهو ما عبّر عنه الجرجاني بالتقديم «لا على نيّة التأخير» أي أنّ المتكلّم اختار تقديم الاسم على الفعل وفصله نهائياً عن موضعه الأوّل بتغيير حكمه الإعرابي. فإذا نظرنا في الأمثلة التالية من أمثلة تقديم الاسم على الفعل:

(٢٨) أ- القصّة انتهت

ب- انتهت القصّة

(٢٩) أ- المدرّسة سألت التلاميذ

ب- سألت المدرّسة التلاميذ

(٣٠) أ- أ رجل جاء

ب- أ جاء رجل

(٣١) أ- ما زيد بمقترفٍ هذا الجرم

ب- ما اقترف زيد هذا الجرم

(٣٢) أ- كلامك أعتبره حجّة

ب- أعتبر كلامك حجّة

فإنّنا نلاحظ أنّ تقديم الفعل أو الاسم يجعله أقرب إلى «المحلّ الإنشائي» في تصوّر الشريف الذي أكسب مفهوم الموصول المصدرّي التثومسكي بعدا تداولياً نحوياً، فقد جعل التأويل الدلالي للأعمال الكلاميّة في مستوى الخطاب تأويلاً لمقولة إعرابيّة غير معجميّة ومترسّخة في البنية ترسّخاً موضعياً محلّياً ذا قيمة شحنيّة ربطها بمفهوم المتكلّم في التراث النحوي^{٢٥}. ويكون المحلّ الإنشائي عاملاً في هذا التصرّور في المحلّ الإحالي المتضمّن للاسم المقدّم، فيتلقّى العنصر المقدّم درجة أعلى من المعنى مما يكون عليه الأمر إذا أّخر. وذلك لوقوعه بقرب المحلّ الإنشائي الواقع في صدر الجملة. فالإثبات الذي هو المعنى الإنشائي في المثالين (٢٨) و(٢٩) يتوجّه إلى العنصر الأقرب وهو الاسم في أ والفعل في ب، وكذلك الأمر بالنسبة إلى المعاني

الإنشائية الأخرى مثل الاستفهام في (٣٠) والنفي في (٣١). ويمكن أن يكون العنصر المقدم لا فاعل الفعل المؤخر بل مفعوله أو أحد مفعوليه مثل ما هو الحال في (٣٢) فيتلقّى ما كان مفعولاً درجة أعلى من المعنى من الفعل والفاعل ويتغيّر حكمه الإعرابي، فيصبح مرفوعاً أي معمولاً أوّل مباشرة للابتداء. ويمكن تفسير هذه الحركة في المعنى اعتماداً على منوال لعبة الكريات الخشبية (le modèle de boules de billard) الذي قدّمه لنجاكر (Langacker). واعتبره عاكساً لمظاهر أساسية من نشاطنا العرفاني، بل ويمكنه تفسير تأويل المعنى في ما يتعلّق باختلاف ترتيب اللفظ في الأبنية التركيبية. وقد شرح عبد الجبار بن غربية هذا المنوال في كتابه «مدخل إلى النحو العرفاني» في قوله:

«أما عندما نتحدّث في النحو العرفاني عن «سلسلة الأحداث» la chaîne d'actions، فإنّنا نعني أنّ الشيء عندما يتحرّك بفضل الطاقة التي يحتوي عليها ويتّصل اتصالاً فاعلاً بشيء آخر. فإنّه يحدث انتقالاً للطاقة ويدفع بذلك الشيء الثاني الذي اتصل به، فيتحرّك هو بدوره ويتّصل بشيء ثالث تنتقل إليه الطاقة، وهكذا إلى أن تنفذ الطاقة وتصبح عاجزة عن إحداث أيّ اتصال.»^{٢٦} فالطاقة ههنا هي عمل المتكلّم أو «عمل المحلّ الإنشائي في المحلّ الإحالي»^{٢٧} على حدّ عبارة الشريف الذي استقى هذه الفكرة من حدوس النحاة القدامى المتعلّقة بقوة العمل وضعفه حسب قرب المعمول من عامله أو بعده عنه، وقد قارنها بالمولدات الكهربائية في الفيزياء وبالنشاط الخلوي الكهربائي للأعصاب في الفيزيولوجيا. وهذا العمل يضعف شيئاً فشيئاً كلّما ابتعدنا عن الموضوع الإنشائي أي صدارة الجملة. وهذا ما يفسّر ما اختزله سيبويه في معنى العناية والاهتمام^{٢٨} التي تتوجّه إلى العنصر المقدم أي الأقرب إلى مصدر العناية والاهتمام وهو موضع المتكلّم.

٢-٢-١-٢ تقديم المفعول الثاني على المفعول الأوّل

يجوز في العربية تقديم المفعول الثاني على المفعول الأوّل في المجموعة الأولى من الأفعال المتعدّية إلى مفعولين حسب تصنيف النحاة القدامى، وهي أفعال العطاء والسلب (وإن كان يمتنع في بعضها مثل حرم). ويمتنع هذا التقديم في المجموعتين الثانية والثالثة أي مع أفعال التحويل وأفعال القلوب. فما هي أسباب جواز ذلك في

الأولى وامتناعه في الثانية والثالثة على الرغم من أنّها جميعاً أفعال متعدية إلى مفعولين؟ يمكن أن نفسّر الاختلاف بين أفعال العطاء من جهة وأفعال القلوب والتحويل من جهة ثانية إلى أنّ المفعولين في أفعال التحويل وأفعال القلوب تجمع بينهما علاقة حملية تجعلها بمثابة المكوّن الواحد، والدليل على ذلك أنّه إذا أظهرت العلاقة الحمليّة تركيبياً فنصب المفعول الأوّل بأنّ ورفع المفعول الثاني على الخبريّة بعد وصلها بالموصول الحرّفي (أنّ) أصبحتا مفعولاً واحداً وتحوّل الفعل إلى متعدّد إلى مفعول واحد:

ظننت زيدا مريضاً ← ظننت أنّ زيدا مريضاً

أمّا أفعال العطاء فإنّها تحتاج حقيقة إلى مفعولين مستقلّين إعرابياً ودلاليّاً. والفعل يعمل في كلّ واحد منهما على حدة، فيجوز بذلك تقديم أحدهم على الآخر:

(٣٣) أ- أعطى زيد عمراً هديّة

ب- أعطى زيد هديّة لعمرو

(٣٤) أ- منحت الدّول الغنيّة الدّول الفقيرة مساعدات

ب- منحت الدّول الغنيّة مساعدات للدّول الفقيرة

(٣٥) أ- سلّم المحامي الورثة الوصيّة

ب- سلّم المحامي الوصيّة للورثة

ولكنّنا نلاحظ أنّ المفعول الأوّل، إذا أُخّر، فإنّه يصبح في حاجة إلى حرف جرّ يصله. فلم يعد معمولاً مباشراً للفعل. والحقيقة أنّه لم يكن كذلك فما دأبنا على تسميته المفعول الأوّل في الجمل المتضمّنة لأفعال العطاء والسلب ليس إلّا المفعول غير المباشر للفعل (Dative, Indirect object). فرتبته بعد المفعول المباشر الشّيء المعطى أو المسلوب. ولكنّه، عندما يتقدّم على المفعول المباشر، يصبح في الظاهر وكأنّه مباشر فيضمّر حرف الجرّ ويرد منصوباً بالفعل. وهذا ناتج عن قربه من الفعل العامل فيه في السلسلة الكلامية أو في «سلسلة الأحداث». ويمكن تفسير هذه الظاهرة بالاستعارة تصوّرية التي يذكرها لايكوف وجونسون ويعدّانها متحكّمة في تأويل

المعنى في تقديم المفعول غير المباشر ومفادها أنه «كلما كان اللفظان متجاورين كان تأثير أحدهما على الآخر أكبر»^{٢٩}.

ونلاحظ أن هذه الاستعارة نفسها يمكننا بها تفسير ظواهر تركيبية أخرى مثل الضمّ والنشر في دلالة الفعل التركيبية في الأقوال التالية مثلاً:

(٣٦) قرّبه منه

(٣٧) جعله قريباً منه

(٣٨) عمل على أن يجعله قريباً منه

فكلما نشر معنى الجعلية في أكثر من لفظ ضعف أثره؛ أي كلما بعد اللفظ في سلسلة الأحداث عن اللفظ العامل ضعف تأثيره فيه في مستوى الدلالة.

٣-٢-١-٢ استنتاجات

نستنج مما تقدّم أنّ ظواهر التقديم والتأخير، وإن بدت تغييراً في مستوى البنية اللفظية الظاهرة أو البنية السطحية المنجزة صوتياً على حدّ عبارة تشومسكي، فإنّها تتعلّق بالبنية النحوية الدلالية العميقة ويمكن تفسيرها استناداً إلى الاستعارات التصوّرية والمناويل العرفانية المتحكّمة في إنشاء تصوّراتنا اللغوية. وقد بيّنا أنّ المعنى الحاصل من التقديم هو نتيجة قرب العنصر المقدّم من مصدر حركة العمل الإعرابي المولّدة للمعنى. وهو ما تفسّره الاستعارة البنيويّة التي شرحها لايكوف وجونسون: (الأقرب يكون أقوى وأكثر تأثيراً)، والمناويل العرفاني المؤمّل الذي اقترحه لنجاكر المشروح أعلاه (لعبة الكريات الخشبية).

الخاتمة

لعلّ أهمّ ما نستفيد من اعتماد المقاربة الدلالية العرفانية في معالجة بعض إشكالات التأويل الدلالي التركيبي أنّها تجعل عمليّتي التأويل والفهم متعلّقتين بمجالات واسعة من التجربة لا بظواهر معزولة. فتجعل الظاهرة اللغوية ظاهرة ماثلة لظواهر إنسانية أخرى نفسية واجتماعية وعصبية. فقد قمنا بتفسير الدلالة الحاصلة بالتركيب وما قد يطرأ في الاستعمال من التباس باعتماد مفاهيم نفسية تجريبية تتحكّم في بناء الدماغ للتصورات عموماً. ولعلّ التجاء الدلائل العرفانيين لهذه المفاهيم في معالجتهم للمعنى اللغوي كان محاولة منهم لتجاوز الشكنة المنطقية المغرقة في التجريد للمعنى التي دأب عليها النحو التوليدي وإعادة المعنى التركيبي إلى أصوله التجريبية في علاقه بجسد الإنسان وأشكال تفاعله مع العالم.

اهتمنا في هذا البحث بظاهرتين دلالتين تركيبيتين هما أولاً التعدّد الدلالي في حروف الجرّ وبيننا أنّه تعدّد مقوليّ حاولنا تفسيره باعتماد مفهوم الطّراز والمناويل العرفانية المؤمثلة وعلاقة الاسترسال بين المقولات النحوية وحلّلنا ثانياً دلالة التقديم والتأخير التي يكشف فيها الاختلاف في ترتيب اللفظ عن اختلاف في التأويل تفسره الاستعارة البنيوية الأقرب هو الأقوى والأكثر تأثيراً. وعالجنا ما تطرحه هاتان الظاهرتان من إشكالات في التأويل الدلالي بالاعتماد على مفهومي المنوال العرفاني المؤمثل والاستعارة التصورية. وبيننا أنّه يمكن تنظيم دلالات هذه الأبنية النحوية وتأويلها اعتماداً على هذه المفاهيم العرفانية المتحكّمة في عملية المقولة وبناء التصورات. وأشرنا إلى أنّ هذه المفاهيم يمكنها تفسير اللغة الموصوفة واللغة الواصفة في الآن نفسه. فقد فسّرنا من خلال البنية الاستعارية «الزمان فضاء مكاني» استعمال النحاة لمصطلح المفعول فيه للدلالة على زمان وقوع الفعل، ومصطلح المفعول الأوّل في أفعال العطاء والسلب الدال على تقدّم المفعول غير المباشر على المفعول المباشر.

يمثّل هذا البحث، في الحقيقة، الخطوات الأولى في مشروع للتفكير في إمكانية الاستفادة من المناويل العرفانية الدلالية الحديثة في التأويل الدلالي للتركيب العربية. وقد حاولنا فيه فتح المجال للتفكير في تطوير هذه المناويل وإثرائها بالخصائص التركيبية للغة العربية المتفاعلة مع محيطها العربي الطبيعي والثقافي.

هوامش
(Endnotes)

١. G. FAUCONNIER, Espaces Mentaux, Aspects de la Construction du sens dans les Langues naturelles, Paris, Ed. Minuit, 1984.
٢. G. LAKOFF, Women, Fire and Dangerous Things, What categories Reveal about Mind, Chicago, University Chicago Press, 1987.
٣. G. LAKOFF & M. JOHNSON, Philosophy in the Flesh, Basic Books, N.Y., 1999.
٤. المرجع نفسه، ص ٣
٥. عبد القاهر الجرجاني، دلائل الإعجاز، شرح وتعليق محمد عبد المنعم خفاجي، بيروت، دار الجليل، ٢٠٠٤، ص. ٢٧٧.
٦. LAKOFF & JOHNSON, Metaphors we live by, London, The University of Chicago Press, 2003, p.7
٧. 23-LAKOFF & JOHNSON, Philosophy in The Flesh, p22
٨. انظر Evans (Vyvyan) & Green (Melanie), 2006, Cognitive linguistics : an introduction, Edinburg, Edinburg University Press.
٩. G. LAKOFF & M. JOHNSON, Metaphors we Live by, p.26
١٠. وسيمة نجاح مصمودي، المقاربات العرفانية وتحديث الفكر البلاغي، دار كنوز المعرفة، عمان، ٢٠١٧، ١٢٠.
١١. م. ن.، ص. ١٢١
١٢. LAKOFF & JOHNSON, Philosophy in The Flesh
١٣. G.LAKOFF, Women, Fire and Dangerous Things, What

- categories reveal about the Mind, Chicago, Chicago
.University Press, 1987
١٤. انظر عبد الجبار بن غريبة، مدخل إلى النحو العرفاني، سلسلة لغويات، تونس،
دار مسكلياني للنشر، ٢٠١٠.
١٥. Kleiber, G., La sémantique des prototypes : catégories et sens .
.lexical, Press Universitaires de France, 1990
١٦. Rosch, E. Heider, Natural categories, Cognitive Psychology 4, .
1973, p.p. 328 - 350
١٧. G.LAKOFF, Women, Fire and Dangerous Things, What
categories reveal about the Mind, Chicago, Chicago
.University Press, 1987
١٨. Ibid. p.68
١٩. 75-Ibid. p.71
٢٠. LAKOFF & JOHNSON, Metaphors we live by, p.26
٢١. وإن كان المختصون يعتبرون الاستعمال الثاني لاحنا
٢٢. الجرجاني، دلائل الإعجاز، شرح وتعليق محمد عبد المنعم خفاجي، بيروت، دار
الجيل، ٢٠٠٤، ١١١
٢٣. م. ن.، ص. ١٢١.
٢٤. LAKOFF & JOHNSON, Metaphors we live by, p.134
٢٥. راجع الشريف، الشرط والإنشاء النحوي للكون، جامعة منوبة، تونس،
٢٠٠٢.
٢٦. بن غريبة، مدخل إلى النحو العرفاني، ص ٥٧.
٢٧. الشريف، الشرط والإنشاء النحوي للكون، مج ١ صص. ٥٠٤-٥١٧
٢٨. سيبويه، الكتاب، تحقيق عبد السلام هارون، دار سحنون للنشر والتوزيع،
تونس، ١٩٩٠.
٢٩. LAKOFF & JOHNSON, Metaphors we live by, p.139

قائمة المصادر والمراجع

- بن غربية (عبد الجبار)، مدخل إلى النحو العرفاني، سلسلة لغويات، تونس، دار مسكلياني للنشر، ٢٠١٠.
- الجرجاني (عبد القاهر)، دلائل الإعجاز، شرح وتعليق محمد عبد المنعم خفاجي، بيروت، دار الجيل، ٢٠٠٤.
- —، أسرار البلاغة في علم البيان، تحقيق محمد رشيد رضا، بيروت، دار الكتب العلمية.
- الزناد (الأزهر)، نظريات لسانية عرفانية، ط ١، لبنان، الدار العربية للعلوم ناشرون، تونس، دار محمد علي، الجزائر، منشورات الاختلاف، ٢٠١٠.
- الشريف (محمد صلاح الدين)، الشرط والإنشاء النحوي للكون، تونس، جامعة منوبة، ٢٠٠٢.
- صولة (عبد الله)، أثر نظرية الطراز الأصلية في دراسة المعنى، في حوليات الجامعة التونسية، عدد ٤٥، ٢٠٠١، ص. ٢٥٩-٢٨٤.
- نجاح مصمودي (وسيمة)، المقاربات العرفانية وتحديث الفكر البلاغي، دار كنوز المعرفة، عمان، ٢٠١٧.
- Evans (Vyvyan) & Green (Melanie), Cognitive linguistics : an introduction, Edinburg, Edinburg University Press, 2006.
- FAUCONNIER, Espaces Mentaux, Aspects de la Construction du sens dans les Langues Naturelles, Paris, ed. Minuit, 1984.
- Kleiber, G., La Sémantique des Prototypes: Catégories et Sens Lexical, Press Universitaires de France, 1990.
- LANGAKER: Cognitive Grammar A Basic Introduction, Oxford University Press, 2008.
- LAKOFF.G, Women, Fire and Dangerous Things, What Cate-

gories Reveal about Mind, Chicago, University Chicago Press, 1987.

- LAKOFF & JOHNSON, Metaphors we live by, London, The university of Chicago Press, 2003.
- LAKOFF & M.JOHNSON, Philosophy in the Flesh, Basic Books, N.Y, 1999.
- Rosch, E. Heider, Natural Categories, Cognitive Psychology 4, 1973, pp. 328 - 350